

حضارات العراق القديمة تعدّ من أولى المراكز الحضاريّة في العالم، وأشهر حضاراتها حضارة السومريين وأكد وبابل وأشور وكلدان، ومع ازدهار الحضارات في بلاد ما بين النهرين في أوقات متزامنة ومتعاقبة، حيث احتلت شرقاً أجزاء من إيران وتحديداً حضارة عيلام، حيث تمّ السّبي البابلي في عهد نبوخذ نصر، وبعد موت نبوخذ نصر مرت بعهد الانحطاط والتردي، بينما نشأت وتطورت حضارة الفرس فتمّ احتلال بابل وما بعدها على يد قورش، حتى جاء الفتح الإسلامي لبلاد العراق والشام على يد عمر بن الخطاب. وفي هذا المقال معلومات عامّة عن الحضارة البابلية. [١] الحضارة البابلية بابل تعني بؤابة الإله، حضارة بلاد ما بين النهرين القديمة، وكانت تعرف قديماً ببلاد سومر وبلاد سومر أكد، وكانت تقع بين نهري دجلة والفرات جنوب بغداد بالعراق. ظهرت الحضارة البابلية ما بين القرنين 18 ق. م، وكانت تقوم على الزراعة وليس الصناعة، وكانت بابل دولة أسّسها حمورابي عام 1763 ق. م، وهزم آشور عام 1760 ق. م، وأصدر قانونه "شريعة حمورابي" وفي عام 1600 ق. م استولى ملك الحيثيين مارسيليس على بابل، كما استولى الآشوريون عليها عام 1240 ق. م. وظهر نبوخذ نصر كملك لبابل 1124 ق. م. ودخلها الكلدان عام 721 ق. م. انقضّ الجيش الآشوري على بابل واستولى عليها، أصدر ملهم سنحاريب وقد أعماه الغضب أمراً بمحق بابل والبابليين، وأغلق مجرى النهر بأنقاض الأبنية حتى تدفق الماء عبر أطلال المدينة، ولعن الموقع الذي قامت عليه بابل سبعين عاماً، قتل الكثير من البابليين وفي مقدمتهم طبقة الأرسقراطيين، وولّى البعض هرباً إلى البلدان المجاورة، فيما سيق الباقون إلى الأسر وبيعوا عبيداً، ثم نقل صنم مردوخ إله بابل الكبير غنيمة إلى مدينة آشور، إلا أن البابليين قاموا بثورة ضد حكامهم الآشوريين عام 652 ق. م. وقاموا بغزو آشور عام 612 ق. م. واستولى نبوخذ نصر الثاني على أورشليم عام 578 ق. م. وسبى اليهود عام 586 ق. م. وهزم الفينيقيين عام 585 ق. م. وبنى حدائق بابل المعلقة. ثم استولى الإمبراطور الفارسي قورش على بابل عام 500 ق. م. [٢] أشهر معالم الحضارة البابلية مثل جميع الحضارات القديمة، تشتهر الحضارة البابلية بعدد من المعالم الأثرية والهندسية المميزة، بوابة عشتار هي البوابة الثامنة لمدينة بابل الداخلية، والتي بناها نبوخذ نصر عام 575 ق. م. في شمالي المدينة اهداء لعشتار إلهة البابليين، وتميّزت بالطراز الفخم، وروعة التصميم الهندسي والمعماري، ولقد كشف المنقب الألماني روبرت كولداوي في عام 1899 م عن أول معالم هذه المدينة. [٤] حدائق بابل المعلقة إحدى عجائب الدنيا السبع في العالم القديم، وهي العجيبة الوحيدة التي يُظن بأنها أسطورة، ويُزعم بأنها بنيت في المدينة القديمة بابل وموقعها الحالي قريب من مدينة الحلة بمحافظة بابل في العراق، وتم بناؤها حوالي القرن السابع ق. م. ويقال بأنه بناها إهداءً لزوجته؛ وهي مسلة كبيرة من حجر الديورانت الأسود، وجدت في مدينة سوسة عاصمة عيلام سنة 1902. ويعود سبب وجود الوثيقة في عيلام هو أن العيلاميين غزو بلاد بابل، ونقلوا كل ما استطاعوا نقله إلى عيلام. [٦] أسد بابل هو تمثال ضخم مصنوع من البازلت على شكل أسد؛ عثر عليه في مدينة بابل الأثرية سنة 1776، يظهر على شكل أسد يقف على شخص بشري، موضوع على منصة طولها حوالي متر، يرجح بناء تمثال أسد بابل من قبل نبوخذ نصر الثاني. [٧] أشهر ملوك البابليين في العام 1137 ق. م تمكن "نبوخذ نصر الأول" ملك مدينة إبسن من إقصاء الحكام الكاشيين وتنصيب سلالة إبسن الثانية حكاماً على بابل، كما حارب عيلام ودمر مدينة سوسة وأعاد مسلة حمورابي إلى بابل، أما محاولات نبوخذ نصر الأول لتوسيع نفوذ بابل فقد راقبتها وثبطتها الدولة الآشورية، مع أنه لم تحصل مواجهة مباشرة بين الدولتين، لكن سرعان ما ضمت الدولة الآشورية بابل. [٨] أما الملك حمورابي فيعتبر أهم ملوك الحضارة البابلية، فقد اشتهر بالتشريعات التي كتبها على ألواح، وقد اعتمد عليها في المعاملات وسنّ القوانين، وقد تنبه باكراً إلى الوضع السياسي لدويلات المدن في المنطقة، واستغله بحنكة عبر سيطرته على الطرق التجارية عند أضيق منطقة بين نهري دجلة والفرات، مما جعل من بابل إحدى أهم مدن المشرق حينها. أضحى حمورابي سيد آشور أيضاً. وبفتحه لارسا امتدت دولته لتشمل مناطق التي كانت أراضي الدولة الأكديّة والسومرية، وبذلك أصبحت دولة بابل الدولة الأقوى في بلاد الرافدين. [٨] كما اشتهر الملك نبوخذ نصر الثاني في الحضارة البابلية، ففي عهده ازدهرت المملكة البابلية وتمددت أطرافها، وتمكن من إسقاط مملكة اليهود، كما شنّ عدّة حملات على مصر، سمح في عهده لجميع مدن البلاد من إعادة بناء معابدها، كما أمر بشق القنوات المائية وبناء السور المعروف بالسور الميدي وبوابة عشتار الشهيرة. [٨] طبقات المجتمع البابلي لم يكن المجتمع مستقراً تماماً في الحضارة البابلية، توجد العشيرة التي كانت تعيش في المدينة والقرية. وقد نجح عدد كبير من هؤلاء في تطوير أنفسهم وصاروا جنوداً وضباطاً، وتنقسم طبقات المجتمع إلى: [٨] الأحرار: وهم مواطنو المدن والفلاحون والرعاة. وهم أقرب إلى طبقة الأحرار من الناحية الاجتماعية، وأشبه بوضع الموالي في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام عند العرب. وللعبد أن يمارس التجارة بموافقة سيده، وله علامة وهي حلاقة نصف الرأس،